العلوم الطبية في بلاد الرافدين
دراسة تاريخية

أ. م. د عماد طارق توفيق
قسم التاريخ / كلية التربية للبنات /جامعة بغداد
emad.tariq@coeduw.uobaghdad.edu.iq

الخلاصة

الكلمات المفتاحية: طب – بلاد الرافدين – تاريخ

واجهت الإنسان منذ إن وجد على سطح البسيطة مشاكل واهوال منها الأمراض وقد حاول تفسير ظواهرها وتجنبها وايجاد العلل والدواء لها، وغالباً ما فسرها على أنها نتيجة غضب الآلهة وهي المسؤولة عن حدوث المرض والمسؤولة عن شفاء المريض.

منذ العصور الحجرية عرف الإنسان مبادئ طبية بسيطة لعل الجراحة اقدمها، وفي العصور التاريخية اتضحت المعالم والأسس الطبية في بلاد الرافدين وصلت قمتها في العصور البابلية والآشورية، وأضحى التنظيم موجوداً فضلا عن ظهور الطبيب ومعه التخصص نتيجة توسع المدن ونموها إلى ممالك، أصبح للطب تخصصات منها الجراحة، والصيدلة وغيرها مثل طب العيون والولادة، الأطفال وغيرها، فضلاً عن اللجوء للكهنة قصد الرقي والمعالجة وإرضاء الآلهة كونها بيدها الشفاء، ولم يتخل الكهنة عن التكهن بشفاء أو وفاة المريض وفق ملاحظات يلاحظها الكاهن المعالج عن طريق ملاحظة الطيور واتجاه حركتها يميناً أو يساراً وغير ذلك.

هدف البحث إظهار دور الطبيب الرافديني وشهرة الطب العراقي ووصوله إلى مناطق خارج بلاد الرافدين من مثلاً الحثيين ومصر الفرعونية، ولا أدل من شهرة الطب في بلاد الرافدين اتخاذ شعار الطب من الموروث السومري الرافديني.

توصلنا إلى التعريف بالمنجزات الطبية والتخصصات الخاصة به فضلاً عن الدواء وتحضيره من الأعشاب وبروز مدن تخصصت بنوع محدد من العلاجات، فضلاً عن نسبة المهنة إلى إلهة الطب وهي حامية أيسن كولا مع كلبها. تعاملوا مع مختلف الأمراض ومنها النسائية والتوليد فضلا عن علاج الأطفال.

إن الطب تطور في بلاد الرافدين وتشعبت تخصصاته وأصبح هناك الطبيب والمعالج الروحاني أو الكاهن والجراح، إذ عرفت جراحة العيون والكسور والعمليات القيصرية.

Conclusion

Key words : Medicine - Mesopotamia - History

Since he was found on the surface of the Earth, people faced problems and horrors, including diseases, and he tried to explain their phenomena, avoid them, find ills and cures for them, and often interpret them as a result of the wrath of the gods, who are responsible for the occurrence of disease and responsible for healing the patient.

Since the stone ages, man has known simple medical principles, perhaps the oldest of which surgery is, and during historical eras, medical features and foundations became clear in Mesopotamia, and it reached its peak in the Babylonian and Assyrian eras and a clear organization existed, in addition to the appearance of the doctor and with him specialization as a result of the expansion of cities and their growth into kingdoms, medicine became specialties, including surgery, pharmacy and others such as ophthalmology, childbirth, children and others, as well as to resort to the priests in order to advancement of metal abyss and pleasing to the gods as her own healing, did not give up the priests to speculate on healing or death of the patient according to the notes go unnoticed priest processor by observing the birds and the direction of its movement right or left and other.

The research aims to show the role of the doctor 's Mesopotamian and defamed Iraqi medicine and access to areas outside of Mesopotamia, for example, Hittites, Pharaonic Egypt and the exchange of medicine known in Mesopotamia take medicine slogan inherited from the Sumerian Mesopotamian.

We reached an introduction to the medical achievements and specialties related to it, as well as medicine and its preparation from herbs and the emergence of cities that specialize in a specific type of treatment, as well as the attribution of the profession to the goddess of medicine، who is the protector of Aisen Cola with her dog. They dealt with various diseases and from the obstetrics and gynecology as well as the treatment of children.

Medicine developed in Mesopotamia and its specialties branched out, and there became the physician, spiritual healer or priest and surgeon, as eye surgery, fractures and caesarean sections became known.

المقدمة

شكلت حضارة بلاد الرافدين نموذجا انسانيا في الأصالة والإبداع والتميز فكانت العلوم والمعارف أسلوباً حضارياً مؤثراً في طريق الرقي والتقدم.
وعلى العموم كانت العقيدة الدينية في صلب الموضوع من حيث تشخيص المرض وأسلوب المداواة وعلة المرض التي تكون للآلهة اليد الطولى في سببه وعلاجه فضلاً عن العلاج الروحي والذي يتم بالإيحاء أو الرقي والدعاء.
يوجد نوعان من العلوم الطبية هما الطب البديل وعلاجه من خلال الأعشاب والآخر المتعلق بالآلهة وهو الطب الروحاني.
إن الهدف من البحث إبراز الجذور التاريخية لعلم الطب وبيان الإنجازات التي وصل إليها العراقيون القدامى في هذا المضمار. وقد توصلنا إلى عد المنجزات الطبية لبلاد الرافدين أصيلة تتلاءم مع روح العصر والبيئة.

الطب الرافديني

بالرغم من قلة المعلومات المتعلقة بالنصوص الطبية بسبب قلة ما ترجم من الرقم المتعلقة بالطب إلا إن المتاح أعطانا صورة واضحة عن التقدم في تشخيص الأمراض وعلاجها. ويمكن القول إن العصر البابلي القديم ولاحقاً العصر الآشوري شهد قفزة نوعية في التخصص فضلاً عن القوانين التي نظمت مهنة الطب، وأشارت إلى بعض التخصصات لاسيما الجراحة وتجبير العظام فضلاً عن طب الأسنان وأمراضها خاصة الماء الأزرق وذلك يبدو جلياً في قانون حمورابي (المواد 215-226) فضلاً عن العمليات القيصرية والقبالة[1].
يبدأ الطبيب مشواره المهني بتأدية القسم الولاء للملك في أيام محددة[2] منها اليوم السادس عشر من نيسان[3].
يسمى الطبيب (بل اوباني) وتعني سيد الإبهام[4] فضلاً عن (آسو) الذي يختلف عن الآشيبو أو العراف في تشخيص أعراض المرض، الآسو ينظر للمرض بوصفه مركباً من مقدمة ونتائج وليس بتأثير قوى خارقة أو فوق طبيعية[5].
يعني الآسو الخبير بالماء أو الزيت وكان يحمل معه حقيبة فيها تعاويذ وجرة فضلا عن الأعشاب[6].
نلاحظ إن الآسو يجمع في مهنته بين التشخيص في المرض وسببه والعلاج بالأعشاب بالرغم من عدم إمكانية معرفتنا الدقيقة بأهميته ودوره في المهنة الطبية. اشتهرت بلاد الرافدين بالطب وبروز أسماء أطباء مشهورين منذ العصور منهم أور-لوكال-ادينا الذي عاش في مملكة لكش السومرية (تل الهبة قرب الشطرة) ومردوخ –ماكور الذي ورث المهنة عن أبيه الطبيب سين-اشاريد، وفي العصر البابلي تطور الطب فنلاحظ لمعان اسم راباشا-مردوخ الذي عمل في البلاط الحثي بوصفه طبيب الملك والقصر مما يشير إلى الشهرة العالمية للطب العراقي القديم[7].
أوضحت الرسائل الملكية المتبادلة بين الملوك في العصر البابلي القديم جانباً من العلوم الطبية والأدوية وأنواع الأمراض فضلاً عن أشهر الأسماء الطبية إذ يأتي في المقدمة الطبيب ميرانوم الذي استدعاه الملك الآشوري شمشي-أدد إلى بلاطه، ولا نعلم

اختصاصه، بيد أنه عموماً استمرت شهرة الأطباء وعملهم في البلاط الآشوري في العصر الآشوري الإمبراطوري فكان منهم إراد-شم-اوصر وأيضا إيكاكار والمعاصرون لأسرحدون وآشور بانيبال[8].

لم تكن المهنة حكراً بيد الرجال بل توجد طبيبات خدمن في البلاط الملكي واقتصرت على الشؤون النسائية[9].

لما كان الدين يتحكم في شؤون السياسة والدولة والمجتمع، كانت لكل مهنة آلهة، وفي موضوعنا كولا (بتشديد الكاف) والتي يرافقها الكلب، ومن أبرز ألقابها السيدة التي تحيي الموتى[10]. ويعتبر الإله ننورتا زوجها من الآلهة الطب ولقبه الطبيب القوي، فضلاً عن عدها إلهة السموم والدواء، فيما نجد إن أيا إله الأرض هو الأعلى عند البابليين وأيضاً ننكشزيدا وقد صور بالعصا التي تلتف عليها الأفعى[11].

من المعلوم إن ننكشزيدا ابن ننزو وهو إله الطب كذلك ومركز عبادته لكش، ومن وظائفه الصحة والشفاء من خلال التعازيم السحرية، رمز له بثعبانين ملتفين حول شجرة أو عصا وذيلهما متصلان وهما متقابلان بوجهيهما، وهذا الرمز ظهر منذ الألف الثالث ق.م مما يدل على قدم تعلم العراقيون القدامى مهنة الطبابة، إن الأفعى تمثل الشفاء والخلود بوصف سمها ترياقاً طبياً ضد الأمراض، وتجدد جلدها يعني الشباب والخلود، وهذا مغزى العلاقة بين الأفعى والصحة والشفاء، وعليه أصبح الرمز المذكور رمزاً عالمياً للطب[12].

إن كولا إلهة مملكة أيسن وحاميتها وصفت في المدونات المسمارية انها طبيبة الرؤوس السود الكبيرة وكان رمزها الكلب والذي عثر على عظامه مدفونة مع تماثيلها في قبور أيسن، وفي العصر السومري الحديث انتشرت عبادتها في البلاد، وكانت وظيفتها الشفاء والتطبيب، من أسمائها نن-كراك أي سيدة الماء العذب وعلى النقيض من شفائها كانت تستدعى لإثارة الأوبئة للأشرار وهي الآسو بوصفه أحد ألقابها، ومن أحد النصوص وصفت نفسها "أنا الطبيبة أعرف كيف أشفي. إنني أحمل معي نصوص الشفاء وكل الأعشاب وأملك حقيبة فيها تعاويذ فعالة". اختصت بمعالجة الجرحى بوصفها المسؤولة عن تضميد مختلف الجروح، وقد يتساءل البعض عن العلاقة بين الإلهة والكلب؟

المعروف إن الكلب يلعق جروحه باستمرار مما يقود لشفائها، وعليه عده القدامى كامل الشفاء ومساعداً للآلهة[13].

استمرت عبادة كولا طيلة العصور التاريخية وصولاً للعصر الهلنستي أو الإغريقي من الإلاهات الأخرى باو أو بابا وهي سومرية أدمجت بآلهة الشفاء وعبدت في لكش واختصت بالسحر ولقبت بسيدة التعزيم، آلهة التعاويذ السحرية والولادة الخاصة بلكش، وفي العصر البابلي القديم سميت طبيبة ذوي الرؤوس السود التي تشفي من الأمراض وكان رمزها الإوز[14].

كانت زوجات بعض الآلهة تختص بالولادة ومنها صربانيتم زوجة مردوخ وننليل زوجة أنليل والملقبة (السيدة مفتوحة الساقين)[15].

وحسب العقائد الدينية القديمة السائدة وقتذاك تعد الإلاهات الطبيبات بنات إله السماء آنو وأغلبهن ارتبطت بأصول زراعية والماء كون وسيلة العلاج آنذاك هي الأعشاب وعلاقتها بالماء معروفة واله الماء والأرض أيا[16].

وحتى في العالم الأسفل أو عالم الموتى توجد إلاهات للطب منها الإله الطفل دومو الملقب كاهن التعويذات الكبير ابن كولا وهو طبيب إلهي[17].

أما نركال إله العالم الأسفل والموت فضلاً عن الأوبئة والأمراض وبحسب العقيدة السومرية هو يد مرض الطاعون وهو إله الحرارة المميتة المؤدية للموت، فيما اعتقده الآشوريين بشكل حشرة تنقل وباء الطاعون[18].

وإله الطاعون إيرا المعبود منذ العصر الأكدي[19]، كان الطاعون من أشد الأمراض فتكاً بالبشرية ويعد وباءً قاتلاً لم تتمكن البشرية من إيجاد العلاج له، ولذا فسره العراقيون على كونه انتقاماً إلهياً وهو ما عبرت عنه أسطورة خاصة بع تمثل قصيدة شعرية مدونة باللغة البابلية تلخصت إن إلالة ايرا سلط الوباء على بابل وقد غزاها الأعداء بعد خداع مردوخ وإبعاده عن بابل فضلا عن تسليط الحروب والدمار[20].

أما نين-آزوهو احد آلهة العالم الأسفل منذ العصر السومري القديم وصولاً للعصر السومري الحديث أو المتأخر ويعني اسمه سيد الطب أو السيد الطبيب، ومن أشهر وظائفه إله الأطباء والتطبيب وشفاء المرضى[21].

ارتبط قسم من العالم الأسفل بوجود شياطين مسببة للأمراض منها كيلو وليلتو، والأخيرة مسببة للأمراض الجنسية للرجال فضلاً عن الناماتو المسؤولين عن إيذاء الناس بالصوت والعض فضلاً عن إيذاء الرضع وتأخير الولادة[22].

اشتهرت مدن في بلاد الرافدين بالتخصص في جانب طبي معين، وكانت غالباً مراكز عبادة آلهة تأتي في المقدمة أيسن مركز عبادة كولا التي وصلت شهرتها إلى الخليج العربي كونها مركز الطب البابلي وموقع شفاء المرضى[23]. وفي المعابد احتوت على المشافي الخاصة بها المخصصة لعلاج المغنيين والمنشدين وأيضاً المغنيات والمنشدات، ولم تكن بلاد الرافدين تخلو من المدارس التي تعلم مهنة الطب في الوركاء وبورسيبا في القرن الأول ق.م، وتعد مدينة بورسيبا أشهر المدن المتخصصة في علاج أمراض القلب[24].

إن وجود مراكز متخصصة في علاج أمراض دون أخرى يدل على مدى التقدم الطبي فضلاً عن الأصالة والشهرة، وقد أسهمت المعابد في تدريس الطب، من جهة ثانية كان الأطباء في العصور القديمة يحملون حقائبهم معهم وفيها الأعشاب والتعاويذ، جرة ماء، الضمادات، المبضع والسكين، أما مظهرهم العام فهم حليقي الرؤوس ولباسهم بسيط[25].

أفادتنا القوانين بأن الحلاقين كانوا يمتهنون الطب، وربما كانوا مساعدين للأطباء، إذ كانوا يقومون بقلع الأسنان، فضلاً عن وجود القابلات المأذونات المختصات بالولادة، ودلت النصوص المسمارية على وجود التدرج الطبي مثل رئيس الأطباء ونائب الطبيب ومعاون الطبيب[26].

المعارف والتخصصات الطبية:

في العصر الآشوري الحديث انتظم الأطباء في مجالس أو نقابات، وهذا يشير لوجود تخصصات وتوسع القاعدة الصحية ومهامها في الإمبراطورية الآشورية.
لقد شخص الأطباء العديد من الحالات المرضية نذكر منها العلاج النفسي باستخدام السحر والتعاويذ من قبل المعزم الأشبيتو فضلاً عن تشخيص المرض وعلاجه بالعقاقير أو الأعشاب الطبية (الآشوتو)[27].
شخصوا الأمراض النفسية ولجأوا للتشريح وعرفوا وظائف الأعضاء منذ العصور التاريخية المبكرة، وعليه عد القلب مستودع الفهم والذكاء، أما الكبد فهو مستودع العواطف والحياة كونه يحتوي على كمية كبيرة من الدم، بوصف الدم يمثل الجزء الحيوي المطابق للروح[28].
لم يكن تمييز الشرايين والأوردة واضحاً عند أطباء بلاد الرافدين لكنهم سموا دم الوريد بدم الليل ودم الشرايين بدم النهار إشارة إلى اللون القاتم في الحالة الأولى والفاتح في الثانية[29].
بالنسبة للدورة الدموية لم تكتشف إلا في العصر العباسي لاحقاً، وعموماً يقوم الطبيب بوصف الأعراض واحتمال الحياة أو الموت إذ تبدأ الصيغة "اذا.... يليها التشخيص.... النتيجة" تستند أسس الحياة والموت على جانب المريض الأيمن والأيسر، الأيمن فأل حسن أي يعيش، الأيسر سيء أي الموت[30].
هذا الجانب يخص التنبؤات المعتمدة على الاتجاه والمواضع وهو خاص بالمعزمين[31].
يعود السبب في نشوء الأمراض إلى اقتراف الذنوب التي تقود لتخلي الآلهة عن الشخص فيسقط فريسة سهلة للشياطين والأرواح الشريرة، وعليه فهو عقاب لاقتراف الذنوب[32].
من المنجزات الطبية تقسيم الأمراض وفقاً للتشخيص، منها العضوية والنفسية، إذا عجز الطبيب عن العلاج يلجأون إلى المعزم أو العراف. كان يتم فحص المريض صباحا ويعودوه ليلاً، مثلما قلنا سابقاً بالنسبة للنساء هناك طبيبات يقمن بعلاجهن، من الأمراض المعروفة في بلاد الرافدين اليرقان وله أثنان وثلاثون أسلوب علاج مع وجود علامات يتعرف عليها الطبيب فيما يخص نجاة أو موت المريض فضلاً عن الفترة الزمنية لطول المرض أو زواله مثالها "إذا كان المريض مدة ثلاثة أيام يضع يده على بطنه ووجهه أصفر فإنه يموت"[33].
ومثال "إذا كان المريض مدة خمسة أيام وخرج الدم من فمه في اليوم السادس فسوف يخف مرضه، إنه مرض سيتو".
بحسب مفهومنا إن الحجامة كانت من وسائل العلاج الناجحة، أما من أمراض العيون المشخصة المعروفة الماء الأزرق، وعموماً لجأ الأطباء للفحص السريري ودرجة حرارة المريض، فضلاً عن تغير لون الجلد، وبشأن علاج الصرع على سبيل المثال لجأ الأطباء إلى وضع إصبع صغير لرجل متوفى عليه زيت متعفن وقطعة نحاس توضع في جلد معزى ويلف على وتر وفي العضلة ويضعها حول رقبة المريض وسوف يشفى[34].

وصف داء الشقيقة بألم الرأس المستمر من شروق الشمس إلى غروبها، والنكاف تورم تحت الأذن لكنهم لم يعرفوا علاجها، ومن الأمراض الشائعة حينذاك السل الرئوي والموصوف بسعال مستمر وبلغم كثيف ممزوج بالدم مع تنفس أشبه بصوت الناي والجلد بارد وأيضاً الأقدام مع تعرق المريض الشديد[35].

كان التشخيص يتم وفق كل عضو إذ تتبع أعراض المرض العضو المريض، كانت الحمى تحدد وفق اربعة مستويات،منها تو وهي صداع قوي واضطراب مع ألم بطني مدة قصيرة، شملت امراض الرأس الجمجمة والدماغ والوجه وسببها شيطان أو شبح ولعلاجها استخدم الشب والسماق واعشاب وخلطها بالعسل وربطها بالرأس، أما امراض الإذن فشملت الطنين، الصفير وسببها شبح وتلخص العلاج لاسيما التقيح أو الألم الموصوف "إذا خرج من أذن رجل ماء أو صديد أو دم، نظف داخل الأذن وانفخ مسحوق الشب داخلها بواسطة أنبوب وصب بها خل الـtabatu وخل الـensu وأمزجهما بالعسل غير المصفى وأدخلها في الإذن بقطنة ملفوفة"[36].

استعمل الشب مادة علاجية مع عشبة النيجلا ذات الأزهار الزرقاء أو البيضاء فضلاً عن طحنه مع خلاصة الورد والنترات وخلطه مع زبدة himetu-ghee حيث يستعمل مرهم فضلاً عن علاج اليرقان[37].

كان مرض التهاب السحايا معروفا باسم قات ايطمي، وكان الاعتقاد سابقاً في العصور القديمة إن مرض التهاب السحايا وداء الشقيقة يرجع لبقاء الأشخاص تحت أشعة الشمس لمدد طويلة أي ضربة شمس وضحها نص "إذا كان رأس إنسان قد أصابه ضربة حر النهار وصار يشتكي وجع بجسمه وتورم برأسه....."[38].

شاعت أمراض العيون وقد برع الأطباء في علاجها فضلاً عن الجراحين المتخصصين بها ذكروا في قوانين حمورابي وشملت إصابات محجر العين والجفون والرمد، فسرت النصوص أسباب أمراض العيون السحر، واضطرابات الهواء الجاف، الغبار ولقاح الأزهار، ومن الاضطرابات البصرية العمى المؤقت والغشاوة، تقيح فوق مقلة العيون، تساقط شعر الأهداب.

ولعلاجها وصف الأطباء مستحضرات منها التوابل النباتية التي يكثر فيها الستريكس "شجرة اللبنى" وهو نبات عطري فضلاً عن المراهم، الملح، النحاس، أوكسيد الزنك والحديد، وكانوا يحذرون مرضاهم من تناول الكراث والكزبرة، أما أولئك الذين يشكون ألماً في الأذن فحذروا من تناول الباقلاء.

لعلاج حكة الجفن الوصفة الآتية "حرق جلد حمار ويستعمل رماده" أو حرق التبن وخلطه بدهن كلية الكبش ووضعها على الجفون المريضة، أما العشى الليلي فوصف "إذا كان الرجل يرى في النهار ولا يستطيع في الليل فإنه مصاب برمد القمر"[39].

عزى الأطباء سبب ضعف البصر إلى الرأس "عندما يرتجف الرأس وفيه حرارة وعندما ترتفع حرارة الرأس وينحني وكأنه وضع على نار (إشارة لارتفاع الحرارة) ويقف الشعر فإن حرارة الدماغ تصيب الجمجمة وتصاب العيون بالضعف وتنهمر الدموع ويظهر القلق"[40]. وامراض الفم مثل تشقق الشفاه ورائحة الفم واللعاب والجفاف

علاجها استخدام الخردل والبلوط مع جذر عرق السوس أو زيت التنوب وزيت الصنوبر.
الشلل يوصف "الرجل الذي يعاني من التواء فمه مع الم على الجهة اليمنى أو اليسرى ولا يستطيع الكلام فإنه نوع من الشلل لا ينفع معه دواء"، ونفس الشي ينطبق على الشلل النصفي الناتج من جلطة قلبية أو دماغية، ولتنظيف الفم واللوزتين استعملوا الغرغرة فضلاً عن معالجة آلام واصفرار الأسنان.
أمراض الجهاز التنفسي تضمنت السعال والبلغم وضيق التنفس وآلام الصدر والسل الرئوي، وقد وصف اطباء العصر الآشوري ضيق التنفس بأنه "إذا عانى المريض من سعال مصحوب بخرخشة في الصدر وإذا القصبة الهوائية تصدر صوت دندنة وإذا كان لديه بلغم، اطحن الورد مع الخردل واخلطهما مع الزيت النقي وقطر على لسانه واملأ الأنبوب وضع فيه الخليط وانفخه باللوزتين وفيما بعد يشرب البيرة عدة مرات وسيتعافى"[41].
مرض ذات الرئة تتلخص أعراضه بالحمى والألم في الصدر مع سعال وبلغم كثير وهزال الجسم وثقل الساقين، كذلك كان الرشح شائعاً، ولعلاجه "تغلى قطعة من الأرنوكلوس وتخلط بالماء المغلي والحليب المحلى والزيت النقي وتشرب على الريق فيشفى".
توصل الأطباء إلى حقيقة طبية مفادها إن المعدة أساس كثير من الأمراض، وقد قيل في الأثر إن المعدة بيت الداء، ولعلاج التهابات المعدة كان السحر احيانا له الدور فيها، مثلاً "إذا تألم أو عانى شخص من وجود مغص في داخله وإذا رفض داخله تقبل الطعام واستفرغه من الفم، تقيأ، وإذا كانت معدته تؤلمه بنقطة معينة وإذا كان يتقيأ من دون توقف، وإذا كان لحم جسمه عديم الحركة والحيوية وإذا كانت غازات كثيرة تتحرك بداخله وتخرج من أسفل بطنه هذا الرجل يعاني من احتقان الأمعاء أو سوء الهضم"[42].
عالج الأطباء البواسير والنزف المخرجي والناسور باستخدام الضمادات والمراهم والتحاميل، فعلى سبيل المثال علاج البواسير "تغلف إصبعك برقاقة كتانية وتغمس بالعسل وتفرك بقوة فتحة المخرج إلى أن يسيل الدم وعندما يتوقف تمزج الشمع بالسيلكورن (لا نعرف ماهيته) ثم بالنيجل (نوع من الأعشاب) المطحون سابقاً وتصنع منه تحميلة تدخل بالمخرج"، فضلاً عن أمراض الصفراء، أكد البابليون على حقيقة طبية أخرى تشير إلى ضرورة الاعتدال بالأكل والشرب عند العطش من خلال المثل القائل "تأكل عندما تجوع وتشرب عندما تعطش"، وقد كانت على والاصفرار يعني اضطراب الكبد وعليه اليرقان يسمى المرض الأصفر والأكثر خطورة داء الصفراء المزمن ahhazu نسبة إلى الشيطان المسمى بنفس الاسم أي (ahhazu)[43].
من أمراض الجهاز البولي والتناسلي البول الدموي، السيلان، الضعف الجنسي والعنه[44].

انتقلت العدوى من الشخص المريض إلى السليم عن طريق الملامسة واستعمال أدواته الشخصية، هذا ورد في النصوص الأدبية منها ملحمة كلكامش "انتقال الجذام عن طريق الملامسة" كما وردفي المقطع "ليخلع الثوب الذي يغطي أعضاءه".

ورسالة من مملكة ماري تحذر الاتصال بسيدة من القصر لإصابتها بمرض جنسي مع التوصية بعدم شرب الماء من كأسها أو الجلوس على مقعد استعملته أو الفراش الذي نامت عليه، المرجح إصابتها بالسفلس[45].

اعتنى الطب بصحة المرأة والطفل والحامل على وجه الخصوص، بهذا الصدد أجريت العمليات القيصرية وأشارت لها ملحمة ايتانا والنسر السومرية[46].

[47]، واستخدموا الاختبار، المرأة حامل إذا الـrubsu امتص الـmassitu وذاب بالماء والعكس يعني كونها عاقر فضلاً عن استخدام الفتائل في علاج الأمراض النسائية[48].

عولج الأطفال منذ الولادة وصولاً إلى الكبار البالغين، فضلاً عن الطب البديل كان الطب المتعلق بالاستعانة بالمعزم لطرد الأرواح الشريرة أو إرضاء الآلهة المسببة للأمراض وهو طب السحر أو الروحاني ويمكن القول إن المعزم يعزو الحالات المرضية لقوى خارقة[49].

كان المعزم يعالج بطريقة الإيهام وقد يكونون قد عرفوا أمراض انفصام الشخصية والذهان والهلوسات المرئية ومحاولات الانتحار[50].

كان للمعزم تأثير مباشر في العلاج وتقف كاهنة الأفاعي musahhatu في مقدمة المعزمين وفي التأثير النفسي للمريض[51].

توارث المعزمون المهنة عن آبائهم، وكانوا يتفحصون العلامات في طريقهم إلى بيت المريض وعليه يقررون نجاة أو موت المريض، إذا شاهدوا كلباً أسود أو خنزير أسود المريض سيموت والعكس معناه سيعيش، إذا واصل المريض بكاؤه شاكياً من جمجمته هذا يعني يد الإله، ورؤية الكسرة ملقاة على الأرض يدل إلى تجنب أو المباشرة مع المريض، إذا تواجد زائر في بيت المريض ومر نسر في السماء يميناً سيعيش المريض ويساراً يعني موته[52].

وبشأن التشخيص إصابة الرجل برأسه من جهة اليسار سببها يد شمش وسيموت، والإصابة من الجهة اليمنى سببها يد أدد[53].

من ناحية أخرى "إذا كان وجه المريض أصفر وأسود فإنه سيموت، أما إذا كان وجهه ينضح عرقاً حرارة أو يشع حرارة سيشفى، وإذا كان مغطى ببثور بيضاء فإنها يد شمش وسيشفى وإن كان مغطى ببثور سوداء فإنها يد عشتار وسيموت[54].

كان كاهن التعزيم الأشيبو يضطلع بدور مهم في تشخيص المرض وسببه وممارسة الطقوس والتعاويذ المساهمة في طرد الأرواح الشريرة والشياطين والأشباح.

يذكر أنه توجد ثلاثة أنواع من المخلوقات تسبب الأمراض:

1-الموتى 2- أرواح المتولدين من اتحاد الشياطين مع الأنسان 3- الشياطين التي أرواحها من نفس طبيعة الآلهة وهي تقوم بأفعال شريرة.

من أمثلة الشياطين المسببة للأمراض ليلو المذكر وليلتو المؤنثة وهؤلاء يتواجدون ليلاً، وعشاكو شيطانة الحمى والسل ونركال إله الموت والطاعون وسولو المسبب لأمراض الصدر وغيرهم[55].

الجراحة والأدوية

كانت الوصفات تذكر لكل الأمراض مثل الم الأقدام وعلاجها خارجياً برش الدواء على العضو المصاب ويمسح بالزيت، ولا توجد في الوصفة الجرعة ولا عدد المرات الواجب أخذها كدواء.

الجراحة في بلاد الرافدين علم متميز، ومن المرجح معرفتها قبل العصور التاريخية وتطورت المعارف الجراحية في العصور التاريخية، من أبرز العمليات الجراحية ما يخص العين ونعني إزالة الماء الأزرق، وإزالة الجزء الملتهب من العظام فضلاً عن تجبير كسور العظام.

بلغت أجرة الجراح في عصر الملك حمورابي عشرة شيقلات فضة عند نجاح العملية لشخص نبيل لكن فشل العملية يعني قطع اليد لاسيما إذا كانت العملية قادت لتلف العين (المادة 215 قانون حمورابي)، أما أدوات الجراح فشملت المبضع البرونزي والسكين وغيرها.

مارس الحلاقون عمليات قلع الأسنان التالفة وتجبير العظام[56].

عموماً توصل الجراحون إلى كون الأسنان التالفة وآلامها وراء ارتفاع حرارة المريض فكان العلاج قلعها، فضلاً عن عمليات بتر الأعضاء المتضررة[57].

التشريح لم يشمل الإنسان بل الحيوان بقصد استخدام عضو الكبد أو الطحال للعرافة والعثور على نماذج الكبد دليل ما أشرنا اليه.

من الأمثلة على عمليات جراحية هو العثور على جماجم مثقوبة في لكش قرب الشطرة يفيد بوجود تشريح محدود للجماجم منذ العصر الحجري الحديث أو المتأخر إذ رسم الكاهن دائرة على سطح الجمجمة الخارجي وبوساطة سكين من حجر الصوان يتم قشط وقطع أخدود على الدائرة وإزالة العظم دون ثقب الجمجمة[58].

بعض الآراء ترى إن العراقيين القدماء عرفوا التشريح ووظائف الأعضاء ونوع الأمراض التي تصيب كل عضو[59].

من العمليات الجراحية العمليات القيصرية، مع العلم أنه لتسهيل الولادة كانت تتدحرج اسطوانة خشبية على بطن الحامل من الأعلى إلى الأسفل لتسهيل خروج الوليد، وشملت العمليات كذلك محجر العين وهو ربما الانسداد أو "الكتراكت" وإزالة الدمل من الكبد وذات الجيب الصديدية فوق الفقرة ما بين الضلعين الثامن والتاسع.

العقاقير وتشمل ادوية مصنوعة من مواد مختلفة مثل طين النهر والعسل وزيوت البحر والأرز، التفاح، زيت الشجر، درع السلحفاة، الصفصاف، التنوب، التين، القرفة الصينية[61].

تتم طريقة إنتاج العقاقير باستخدام البيرة كوسيط إذ كانت البذور تسخن مع الزعتر والصمغ وتخلط بالبيرة وتستعمل كشراب فضلاً عن الاستعمال الخارجي للبيرة مع الماء

لإنتاج عقاقير ترش على المريض بعد غلي المواد المسحونة وتصفيتها وأحياناً غليها بغية الحصول على الخلاصة المطلوبة[62].

علاوة على طرق السحن والنقع والاستخلاص المائي والزيتي تتوفر طريقة الترشيح مع الزيوت الأساسية المعطرة دون إن تحدد الكميات المستعملة في التركيب وهي ربما كانت معلومة الأوزان والمقادير لدى الطبيب أو المعالج فضلاً عن كونها من أسرار المهنة[63].

من خلال نص مؤرخ للألف الأول ق.م مقسم لثلاث اعمدة تضمن وجود اكثر من 150 مادة علاجية،اهمية النص انه يتضمن في العمود الأول النبات المستعمل،العمود الثاني المرض المعالج،العمود الثالث طريقة تركيب الدواء، مع التوصية بالصيام،وكانت طرق تحضير الدواء تشمل التقطير، التبخير، التصفية ويتم نفخ السوائل من خلال قصبة أو عن طريق الفم[64].

تصنف مصادر الأدوية إلى ثلاثة أنواع: النباتية، الحيوانية، الكيماوية أو المعدنية، ومع العقاقير كانت المراهم عوامل مساعدة في العلاج فضلاً عن الضمادات[65].

كان التدليك والفتائل من وسائل العلاج المتبعة في الطب العراقي القديم الذي توصل أطباؤه إلى تشخيص انتقال العدوى عن طريق الملامسة لاسيما أمراض الجذام والجرب وتوصلوا إلى العلاقة بين الذباب والأمراض وانتشار الأوبئة[66].

من الفروع الطبية الطب البيطري فكانت الحيوانات الاقتصادية تحظى برعاية خاصة كونها ذات قيمة مهمة للمجتمع والمملكة ومنها لأهميتها في النقل لاسيما الخيول لذا أفردوا لها نصوصاً خاصة[67].

فضلاً عن توفر اطباء للثيران والحمير، وقد أشار المشرع البابلي حمورابي إلى وجود عمليات جراحية تجرى للثيران والحمير وهي مهمة كونها واسطة النقل والتجارة والزراعة، لذا لا عجب من تحديد أجرة الطبيب بسدس شقل فضة إن نجحت العملية (المادة 224) وفي حالة الفشل وموت الحيوان فعلى الطبيب دفع غرامة تعادل ربع قيمة الحيوان للمالك (المادة 225)[68].

الخاتمة والاستنتاج:

يتضح مما ذكرناه إن العلوم الطبية في الموروث العراقي القديم تعود في جذورها إلى العصور الحجرية المتأخرة وتطورت عبر المسيرة التاريخية لبلاد الرافدين حتى غدت مدناً بعينها مشهورة في مجال طبي دون غيرها، ووصلت الشهرة الطبية للأطباء خارج حدود بلاد الرافدين، وأصبح تبادل المشورة الطبية والاستعانة بالأطباء لدى البلاط الملكي خارج الرافدين أمراً شائعاً، وهذا يدل على أهمية الطب وتقدمه وانتشار شهرته في الشرق القديم، وفي الوقت ذاته اطمئنان المرضى وثقتهم بالشفاء وإيمانهم به.

يمكن القول إن التخصص في الطب بدأ في العصور الحجرية المتأخرة وكان محدوداً لاسيما الجراحة وأخذ مدى واسعاً في العصور التاريخية لاسيما العصر البابلي القديم وصولاً للعصر الآشوري المتأخر، والطب أصيل النشأة في بلاد الرافدين وتطور إذ لم يكن جامداً، والعلوم الطبية لبلاد الرافدين شملت مناحٍ عديدة اعتمدت التشخيص والعلاج

فضلاً عن الطب الروحاني المستند على إرضاء الآلهة كونها هي من تسببت بالمرض وهي من تشفي، ولم تكن الدلائل والمشاهدات غائبة عن التشخيص، أي إن التفاؤل والتشاؤم سمة المعزم.

الهوامش

1. طه باقر، "موجز تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية"، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1980، ص95-96.
2. صلاح رشيد الصالحي، "بلاد الرافدين، دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم"، ج3، الطبعة الأولى، بغداد، 2017، ص196.
3. مرغريت روثن، "علوم البابليين"، تعريب د. يوسف صبحي، بغداد، 1980، ص79-80.
4. سامي سعيد الأحمد، "الطب العراقي القديم"، مجلة سومر، مجلد 30، 1974، ص84.
5. E. Ritter, "Magical-Expert, Asipu and physician Asu, Notes on two complementar profession in Babylonain Medicine" AS, 16, 1965, pp: 301-302.
6. سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص86.
7. نفس المصدر، ص84.
8. المصدر نفسه، ص85.
9. المصدر نفسه، ص87.
10. مرغريت روثن، مصدر سابق، ص74.
11. سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص90.
12. حسين عليوي عبد الحسين السعدي، "وظائف الآلهة في بلاد الرافدين"، أطروحة دكتوراه، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2015، ص160.
13. المصدر نفسه، ص165-166.
14. المصدر نفسه، ص168.
15. المصدر نفسه، ص171.
16. خزعل الماجدي، "الآموريون الساميون الأوائل" طبعة أولى، دمشق، 2016، ص241.
17. المصدر نفسه، ص256.
18. حسين عليوي، مصدر سابق، ص175-176.
19. المصدر نفسه، ص181.
20. طه باقر، "مقدمة في أدب العراق القديم"، بغداد، 2010، ص170.
21. حسين عليوي، مصدر سابق، ص184.
22. المصدر نفسه، ص191-192.
23. عباس علي الحسيني، "مملكة ايسن بين الإرث السومري والسيادة الآمورية"، دمشق، 2004، ص21-24.
24. سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص85.
25. المصدر نفسه، ص87.
26. خزعل الماجدي، "بخور الآلهة، دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين"، ألمانيا، 2019، ص169.
27. سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص79-80.
28. المصدر نفسه، ص88.
29. المصدر نفسه، ص89.
30. المصدر نفسه، ص90.
31. صلاح رشيد الصالحي، مصدر سابق، ص199.
32. المصدر نفسه، ص209.
33. سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص89.
34. خزعل الماجدي، مصدر سابق، ص177.
35. سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص100-102.
36. صلاح رشيد الصالحي، مصدر سابق، ص227-228.
37. مارتن ليفي، "الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين"، ترجمة د. محمود فياض المياحي، بغداد، 1980، ص219.
38. سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص95.
39. صلاح رشيد الصالحي، مصدر سابق، ص230.
40. المصدر نفسه، ص226.

41. المصدر نفسه، ص232.
42. المصدر نفسه، ص233-234.
43. المصدر نفسه، ص235.
44. طه باقر، موجز...، مصدر سابق، ص96.
45. سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص93.
46. J. Wilson, "Further contribution to the Legend of Etana", JNES, 33/2, 1974, p. 240.
47. E. Reiner, "Babylonian Birth prognoses", ZA, 72/2, 1982, p. 127.
48. Ibid, pp. 129-132 لانعرف ماهية massitu, rubusu.
49. مرغريت روثن، مصدر سابق، ص75.
50. J. Wilson, "An introduction to Babylonian psychiatry", AS, 16, 1965, pp. 290-291.
51. Ibid, p. 293.
52. عبد اللطيف البدري، "التشخيص والإنذار في الطب الأكدي"، بغداد، 1976، ص9-13.
53. المصدر نفسه، ص23.
54. المصدر نفسه، ص55.
55. صلاح رشيد الصالحي، مصدر سابق، ص216، 221.
56. خزعل الماجدي، بخور.....، مصدر سابق، ص171.
57. سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص94.
58. صلاح رشيد الصالحي، مصدر سابق، ص194، هامش 617.
59. المصدر نفسه، ص224.
60. المصدر نفسه، ص241-242.
61. مارتن ليفي، مصدر سابق، ص204-206.
62. المصدر نفسه، ص209.
63. المصدر نفسه، ص210-211.
64. خزعل الماجدي، مصدر سابق، ص181.
65. S. Denning-Bolle, "Wisdom in Akkadian Literature", Leiden, 1992, p. 50
66. سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، ص93.
67. مارتن ليفي، مصدر سابق، ص202.
68. صلاح رشيد الصالحي، مصدر سابق، ص202.